١٧٣٦٨
٨٨٤٤٤

المختصر المفيد في تفسير الكتاب المجيد (*)

التفسير

الدخان ٤٩٦

سورة الدخان

سُورَةُ الدُّخَانِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ
مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾
أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ
﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى
النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ
إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾
ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا
إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ
﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ
كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

١- من الحروف المقطعة التي يتألف منها الكتاب الكريم معجزة الرسالة الخالدة.

٥،٤،٣،٢- قسم بكتاب الله الواضح على إنزاله من الله في ليلة فيها البركة كل البركة على البشرية كلها بعد أن مهّد لذلك كل الأنبياء ليعدوا البشرية للعمل بهذا النهج الخالد المنسجم مع الفطرة. والظاهر هو الإنزال الكامل إجمالاً وفي ليلة القدر المباركة على قلب الرسول لصياغته وتأهيله، ولكن الإنزال التدريجي سار مع مسيرة الدعوة لتربية الأمة، وإنذارها وإعطائها المعيار الفاصل الحكيم بين الحق والباطل، بلغه الرسول الكريم بأمر الله.

٦- إنه المظهر الكامل للرحمة الإلهية بالبشرية وهي أساس إرسال الأنبياء وهداية البشرية إلى أفضل منهج للسعادة قائم على علم الله بالإنسان وعلاقته بالكون وما ينبغي له أن يعرف ويسلك ليحقق هدف خلقته.

٧- إنه تعالى رب الكون الذي تتجه إليه الفطرة وتتيقن منه العقول.

٨- إنه الإله الواحد الحي المحيي والمميت وهو رب البشرية كلها.

٩- أما هؤلاء المعاندون فهم غارقون في أوهام الشك يلعبون ويلهون عن الواجب والتكليف والاعداد للمستقبل.

١٤،١٣،١٢،١١،١٠- تهديد لهم بآية إلهية هي الدخان الواضح الذي يسد عليهم منافذ الحياة ويوقع الناس في عذاب أليم، فيجأرون إلى الله طالبين كشفه عنهم واعدين بالإيمان ولكنهم غارقون في غفلتهم لا يستطيعون أن يتذكروا بعد أن وقفوا بوجه الرسول المبين عن الحق، والحامل لكل مقتضيات الصدق فاتهموه بكسب العلم من الآخرين ووصفوه بالجنون.

١٥- فإذا كشف عنهم العذاب قليلاً عادوا إلى غيهم وسفههم.

١٦- فاستحقوا الانتقام الكبير والبطش العظيم.

١٧- ألا يعتبر هؤلاء بمصير قوم فرعون - من قبل - الذين غرقوا في الغفلة وأسرفوا في النعمة وكذّبوا برسولهم الكريم.

١٨- الذي دعاهم ان يفرجوا عن عباد الله(بني اسرائيل) الذين كانوا تحت سيطرة وأسر فرعون كما دعاهم للعمل برسالته وأنه رسول أمين على وحي الله.

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ
﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا
نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَاهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ
﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

١٩،٢٠- ونهاهم عن التكبر على الله حاملاً معه البرهان الساطع مستعيذاً بربه وربهم من أن يرجموه ويعذبوه.

٢١،٢٢- وإن لم يشاؤوا الإيمان فليعتزلوه ولكنهم أصرّوا على العدوان فدعا ربه عليهم معلناً أن الإجرام قد تأصل فيهم.

٢٣- فأمره الله أن يتحرك بالمؤمنين من عباده ليلاً لأن قوى فرعون تتبعهم.

٢٤- كما أمره بعبور البحر بعد أن انشق له طريق واسع فيه فعبره وتركه كذلك ليدخله جيش فرعون مما يؤدي به إلى الغرق.

٢٥،٢٦،٢٧- وهكذا تجلت القدرة الإلهية وغرق الظالمون المسرفون تاركين وراءهم جنات وعيوناً كثيرة ومحاصيل زراعية وافية ومقامات ومساكن زاهية ونعماً كانوا يتفكّهون فيها ويتمتّعون.

٢٨- وكذلك فنى هؤلاء الطغاة وأورث الله ما تركوه للآخرين وهم بنو إسرائيل.

٢٩- لقد رحلوا غير مأسوف عليهم وكأنَّ نتوءاً غريباً تمت إزالته ولم يكن باستطاعتهم أن يمنعوا ما حل بهم عند حلول أجلهم. فالتأجيل والإمهال إنما يكونان لاحتمال التغيير والاصلاح ولم يكن ذلك متوفراً في فرعون وقومه.

٣٠،٣١- ومنّ الله بذلك على بني إسرائيل ونجاهم من العذاب المذل الذي كان فرعون يصبه عليهم بكل جبروته وإسرافه في تجاوز خط الاعتدال إلى أعلى درجات الظلم.

٣٢،٣٣- وقد اختارهم الله لحمل رسالته بعد أن علم فيهم قدرة حملها دون غيرهم وبعد أن امتحنهم بأنواع البلاء ومحصهم فرآهم الأفضل لهذه المهمة الكبرى، ومنحهم كل الآيات التي تحقق هذا الهدف الكبير، وان كانوا نكصوا وانقلبوا على هذه المهمة ولم يستقيموا فواجهوا بتآمرهم رسالة عيسى ورسالة الإسلام.

٣٤،٣٥،٣٦- عودة إلى المشركين في عصر الرسالة ورد على دعواهم بإنكار البعث والنشور وأن الأمر يقتصر على هذه الموتة الأولى لا غير وإلا فهل يستطيع الرسول أن يحيي آباءهم إن كان صادقاً.

٣٧- وقبل أن يجيبهم يذكرهم بقوم تبع من ملوك حمير، ومن سبقوهم من الجبابرة الذين كذبوا وأجرموا فأهلكهم الله، مع انهم كانوا أقوى وأشدَّ من هؤلاء.

٣٨،٣٩- هذا هو الرد القاطع على ذلك التكذيب إنه توجيه الفكر إلى الهدفية الرائعة المشهودة حساً في خلق الكون، فلا خلل ولا عبثية بل خلق بالحق وان لم يعلم ذلك أكثرهم.

وتتكشف يوماً بعد يوم عظمة التنسيق الكوني لتمتلئ النفوس بالإيمان بالهدفية وبالتالي الإيمان بالآخرة.

٤٩٨ الدخان

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

٤٠،٤١،٤٢- إن القيامة هي يوم الفصل والحساب، وهي ميقات جميع الخلائق، وبه تتحقق الهدفية ويعود الحق إلى نصابه ويُجزى الجميع بما عملوا دونما نصير أو شفيع إلا من رحمه الله ونصره وقبل الشفاعة فيه، وهو العزيز الرحيم بعباده.

٤٣،٤٤،٤٥،٤٦- ما أتعس مصير المجرمين هناك في الجحيم- طعامهم شجرة الزقوم كريهة الرائحة الملوثة بالمواد المنفرة السائلة تغلي في البطون كما يغلي النحاس الذائب .

٤٧،٤٨،٤٩،٥٠- ويأتي النداء الرهيب - خذوه وشدوه إلى قلب الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ثم يأتي التنكيل اللائق به- ذق إنك أنت العزيز الكريم، استهزاءً به ونكاية وجزاءً على ما كان يكذب به وما يدعيه من العزة والكرامة.

٥١،٥٢،٥٣،٥٤،٥٥- وفي قبال هذا المنظر الرهيب يعرض هذا المنظر الرائع حيث يقيم المتقون في مقام أمين فلا خوف ولا حزن بل نعمة وجنات وعيون ولباس مريح من حرير ناعم (سندس) وسميك (إستبرق) وجلوس متقابل وسمر، وزواج بالحور العين وتمتع بما تشتهيه الأنفس مع الأمن من انقطاع هذا النعيم.

٥٦- إذ لا موت بعد موتتهم الأولى بل هو خلود دائم في العطاء وبعد عن العذاب.

٥٧- إنه الفضل الإلهي وهو الفوز العظيم.

٥٨- تلخيص لهدف السورة الكريمة وأن هذا القرآن الكريم أنزل على رسول الله فتلاه بلغة واضحة هي العربية لعل هؤلاء يخرجون من غفلتهم ويعودون إلى فطرهم.

٥٩- وإذا لم يتذكروا فلينتظر الجميع أهوال القيامة. وهكذا تركز هذه الآيات كما في غيرها ايضاً وبشتى العبارات والأساليب على موضوع التخويف من الاهوال والعقاب والترغيب في الجنة والثواب، وكل ذلك لاعداد الأمة الواثقة من رسالتها ودورها في الحياة.

سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ
اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

١- من الحروف المقطعة.

٢- إنه الكتاب المعجز المنزل من الله تعالى ذي العزة والحكمة هداية للبشرية ولطفا بها لتستفيد من هذه الهداية التشريعية وتحقق هدف خلقتها.

٣- وإن التأمل في هذا الكون الفسيح وعجائبه يؤدي إلى الإيمان.

٤- وكذلك يؤدي إليه التأمل في خلق الإنسان وعظمة التنسيق فيه وفي الدواب التي لا تحصى أنواعها وكلها تؤدي وظائفها مسخرة لخدمة الإنسان مما يركز اليقين بالله وعزته وحكمته.

٥- وهذا التناوب الكوني في الليل والنهار ودوره المحسوس في تسهيل الحياة الإنسانية، وهذا المطر الوهوب الذي يحيي الأرض بعد موتها، وحركة الرياح التي تؤدي أدواراً كبرى في حياة الإنسان كل هذا التناسق في قوانين الخلقة يهز الوجدان ويدفع العقل إلى الإيمان.

٦- إنها آيات الله تتلى بالحق وتنسجم مع الواقع والفطرة وتصنع الإيمان وإذا لم تستطع أن توجده فإن الإنسان سيبقى تائهاً لا يؤمن بأية قيمة وحينئذ فالضياع كل الضياع.

٧،٨- إن الهلاك هو جزاء كل كذاب آثم يرى ويسمع آيات الله البينات تتلى عليه ثم يبقى على عناده مستكبراً وكأنه لم ير الحقيقة فليبشّر بالعذاب الأليم.

٩- إنه عندما يستمع إلى آيات الله يستهزئ بها فيستحق العذاب المذل.

١٠- إن هؤلاء سوف تلاحقهم جهنم يوم القيامة ولا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم ولا الآلهة التي زعموها من دون الله ولهم عذاب عظيم.

١١- إن القرآن هدىً ونور أما الكافرون به فلهم العذاب الأليم.

١٢- لقد منَّ الله على البشرية فسخَّر لها ظواهر الكون ومنها البحار حيث تسمح قوانينها الهائلة للفلك لتسري بأمر الله وفضله وحكمته فتشبع حاجات البشر وكل ذلك يدفع الإنسان للإيمان والشكر.

١٣- ان هذا التناسق وتوافر الظواهر لتسهيل الحياة الإنسانية يسير بالفكر الإنساني إلى الإيمان بالخالق المنظم الرحيم الحكيم.

الجاثية ٥٠٠

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

١٤- يدعو القرآن المؤمنين إلى الصبر في قبال المشركين، والعفو عن سيئاتهم خصوصاً وهم في حالة ضعف ولجذبهم للاسلام كما حصل، وإيكال أمرهم إلى الله.

١٥- هذه هي الحقيقة، إذ يعود العمل الصالح بالخير على نفس العامل في حين يعود العمل الطالح بالشر عليها وهنا تلتحم المصالح الفردية والاجتماعية ثم يعود الجميع إلى الله وبذلك يتحقق مقتضى الهدفية.

١٦- لقد أوتي بنو إسرائيل الكتاب الإلهي، والقيادة الدينية والدنيوية، وأعطاهم الله الطيبات وفضلهم بذلك على العالمين لأنهم كانوا في البدء مؤهلين لذلك.

١٧- وساروا يحملون النور الإلهي والبينات من أمر الدين والدنيا ولكن علماءهم لم يحفظوا هذه الأمانة جيداً بل دعتهم مصالحهم الضيقة إلى البغي والعدوان والاختلاف في الأمر رغم ماجاءهم من العلم الذي يدعوهم إلى الوحدة في الموقف العملي، وحمل الأمانة بقوة، وحينئذ فقدوا أهلية القيادة في الأرض وسيقضي الله بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا وتنازعوا فيه.

١٨- وتحولت القيادة والأمانة إلى هذا الرسول فليحملها بقوة ولا يأبه لأهواء الجاهلين والطامعين والمساومين.

١٩- فهؤلاء لا قيمة لهم عند الله، وإنما يتولى بعضهم بعضاً دون أن يمنحهم ذلك قوةً ووزناً وتبقى الولاية الحقيقية لله وهو ولي المتقين. وشتان بين الولايتين.

٢٠- إن النور والبصائر الهادية والمعايير الحقيقية واللطف والرحمة تكمن في القرآن شريطة أن يوقن الإنسان به ويتفاعل معه، وينظر إلى الأمور بدقة وبصيرة بعيداً عن السطحية والتبسيط.

٢١- هما إذن خطان متمايزان لا يتساويان عند الله يختلفان في المحيى والممات، خط يحمل النور والهدى ويعمل بمقتضاه صالحاً ويؤمن بأنه سيعود إلى ربه فيجزيه الجزاء الأوفى، وخط يعيش في عمىً ويرتكب السيئات ويرى أنه يفنى إذا مات فلا حساب. والحكم بتساوي الفريقين سواء كان في الحياة أو الممات حكم سيئ وسخيف.

٢٢- هذا ما يقتضيه المنطق السليم فإن الكون كله مخلوق لله وعلى أساس من الحق والقيم الثابتة، وستعود الخلائق إلى ربها لتجزى كل نفس بما فعلت بالعدل والفضل فلا يمكن أن يتصور الظلم في هذا النظام.

الجاثية ٥٠١

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

٢٣- توضيح إضافي للفرق بين الفريقين- ذلك أنَّ فريق الباطل يعيش في عمىً وضياع ويفقد معالم الإنسانية وتختل القيم لديه، فهواه إلهه ولا مجال في سلوكه لعقل أو فكر أو إرادة واعية وإنما هي العواطف الجامحة والضلال، رغم علمه بالحقيقة ولكنه لا يتبع علمه بل يسير أعمى خلف هواه وكل منافذ الهدى لديه مغلقة، سمعه وبصره معطل لأن الاساطير تعطل رؤيته، ولأن الأوهام والأصنام لا تهدي أحداً فالهدى بيد الله لا غير لو تذكّر المتذكّرون.

٢٤- هكذا هو التصور القاصر لهؤلاء السطحيين ـ قديماً وحديثاً ـ فالحياة هي هذه الحياة والأجيال تتعاقب على مسرحها والزمان هو الذي يفرض ذلك دونما وعي ولا هدف. إنها هي السخافة والوهم لا غير.

٢٥- فإذا جاءتهم الأدلة القاطعة راحوا يتذرعون بالحجج الواهية ومع ان الحديث عن المعاد واعادة الموتى انما هو في الآخرة والقيامة فانهم يتحدّون الرسل أن يرجعوا إليهم آباءهم الذين ماتوا في هذه الدنيا إن كانوا صادقين.

٢٦- إن الله هو المحيي والمميت وهو الجامع إلى يوم الحساب الذي لا ريب فيه حتى لو أنكره أكثر الناس.

٢٧- فلله القدرة المطلقة وله الملك في الكون يحكم ما يشاء وسيعلم هؤلاء أن الخسران الحقيقي سيكون من نصيبهم يوم القيامة.

٢٨- حيث تجثوا الأمم على ركبها هناك تنتظر مصيرها وتدعى إلى حسابها لتجزى نتائج أعمالها.

٢٩، ٣٠، ٣١- إن كل ما عملته هذه الأمم محفوظ في كتاب ناطق بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة؛ فأما المؤمنون العاملون فأمامهم رحمة ربهم ولهم الفوز المبين وأما الكافرون فلهم التبكيت والتساؤل القاتل عما بدر منهم إذ كانت آيات الله تتلى عليهم فيستكبرون ويجرمون.

٣٢- وعندما كانت عقولهم تـُذكرهم بأن الله قادر وصادق في وعده وأن القيامة حقيقة لا ريب فيها كانوا يشككون فيها ويدّعون أنهم يعيشون الظن ولا يستيقنون.

الاحقاف ٥٠٢

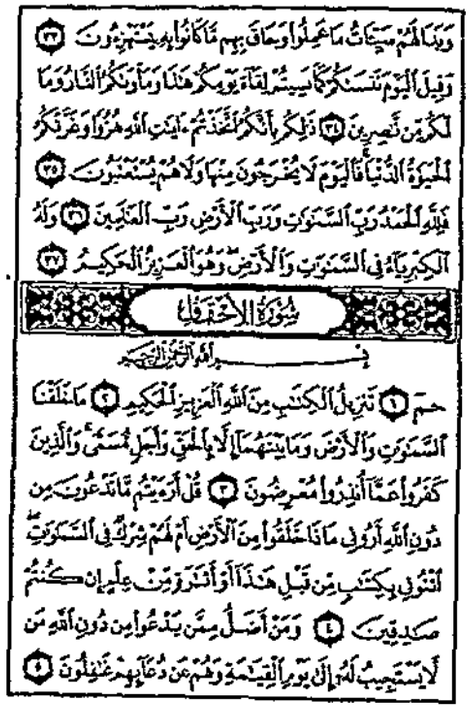
وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ
ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن
لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

٣٣- هاهي اعمالهم السيئة تبدولهم مجسدة بما لها من عواقب، وهاهي اليوم جهنم التي كانوا يكذبون بها تحاصرهم من كل جانب.

٣٤،٣٥- وتنكيلاً بهم يقال لهم اليوم ننساكم كما نسيتم هذا اليوم فذوقوا عذاب النار من دون وليّ يلي أمركم أو نصير بعد أن كنتم تستهزئون بآيات الله غارقين في الإغراءات الدنيوية فلتغرقوا في العذاب بلا أمل في النجاة ولا قبول للعذر.

٣٦، ٣٧- إنه صوت الحقيقة يعلو بالحمد المطلق لله ربّ الكون وربّ العالمين له العظمة والجلال، له وحده العزة والحكمة فلتسبح بحمده الكائنات كلها.

سورة الاحقاف

١- من الحروف المقطعة.

٢- تأكيد على أن الله أنزل هذا الكتاب من عنده وعلى أساس من عزته وعلمه وحكمته ليهدي البشرية لأفضل سبيل لعلائها.

٣- وخلق الكون بالحق وكون ذلك إلى أجل معين ولهدف مقدّر يشكل تجلّياً للعزة والقدرة والحكمة الإلهية وهو ما يجب أن يتركز في وجدان الإنسان بعد أن يلاحظ هذا التنسيق الدقيق في الآفاق وفي نفسه.

أما الكافر فهو بعيد عن الوعي معرض معاند يشرك بالله موجودات مزيفة.

٤- وهذه الآلهة المزيفة ما قيمتها وما أثرها في الأرض أو في السماء؟ وهل جاء ما يدلّ عليها من كتاب أو بقية من علم؟

٥- نعم هو الضلال البعيد أن يدعو الإنسان إلهاً من دون الله لا قيمة له ولا يستجيب لداعيه إلى يوم القيامة لأنه غافل عاجز.

الاحقاف ٥٠٣

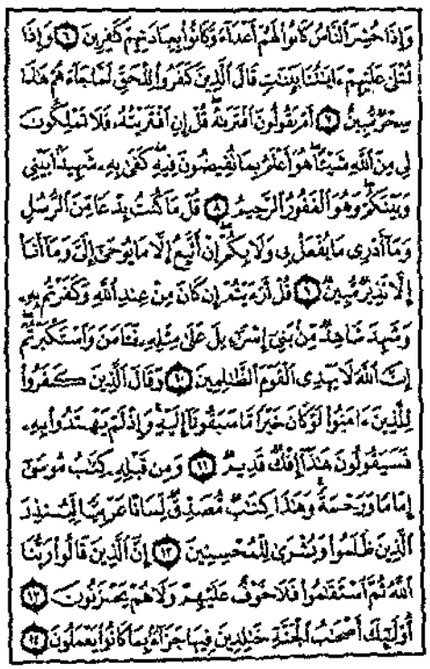
وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا
سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ
وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ
فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ
إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا
اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

٦- وسوف تكون هذه الآلهة المزيفة اعداءً لعبدتها تكفر بعبادتهم وتستنكرها.

٧- إن العناد يتأصل في نفوس الكافرين حتى إذا ما واجهوا الحق والآيات البينات راحوا يصفونها بالسحر والوهم.

٨- ثم إنهم ينسبون الافتراء إلى الرسول، ولكنه يؤمر بالرد عليهم وتذكيرهم بأنه لو كان افترى فمن الذي يحميه من الله القادر على كل شيء والعالم بكل ما يطرحه هؤلاء من افتراء وتكذيب واتهام، فكفى بالله شهيداً بعد أن أنزل إليه هذا الكتاب المعجز، وإجراء المعجزة على يديه شهادة على صدقه وبعد كل ذلك ليعد هؤلاء إلى الله ويستغفروه وهو الغفور الرحيم.

٩- لم يكن الرسول إلا على نهج الرسل السابقين يقول أقوالهم ويدعو إلى ما دعوا إليه، وهو مثلهم عبد مطيع لله لا يعلم إلا ما يعلّمه الله ولا يدري ما يريده الله به ويخاطبه، إنه إنما يتبع ما يوحى إليه وما هو إلا نذير ومبلّغ عن الله واضح في إنذاره. وهو يعمل بتكليفه.

١٠- إنه من التهور أن يكفر به هؤلاء المشركون رغم احتمالهم أن يكون من عند الله - وهم يعرفون الرسول بالصدق والأمانة - خصوصاً بعد أن شهد بعض الشهود من بني إسرائيل على صدق معلوماته وانسجامها مع دعوات الرسل السابقين وبالتالي آمن به وصدقه مما يدعو هؤلاء إلى إعادة النظر في موقفهم فإن لم يفعلوا ذلك ظلموا أنفسهم واستحقوا الضلال.

١١- من مقولات الكافرين وتبريراتهم لتكذيبهم بالرسالة قولهم: أن لو كان فيها خير لم يسبقهم الرسول إليه لما يمتازون به من مكانة! والواقع هو أنهم ينطلقون من كبر وتعال على الحق ولانهم لم يهتدوا فهم يعتبرون الرسالة إفكاً وزوراً قديماً.

١٢- إن هذا القرآن سبقته كتب إلهية هدت أممها وقادتها للحق وعلى نفس النهج وتصديقاً للرسل جاء القرآن بلسان عربي واضح إماماً ورحمة، منذراً للظالمين ومبشراً للمحسنين.

١٣- إن الذين دانوا لله بالربوبية وعملوا بمقتضياتها واستقاموا على الخط هم الفائزون حقاً فلا يخافون من المستقبل ولا يحزنون على ما فات.

١٤- إنهم ينالون أعظم ما يمكن أن يتمناه إنسان وهو الخلود في النعيم جزاء بما كانوا يعملون.

الاحقاف ٥٠٤

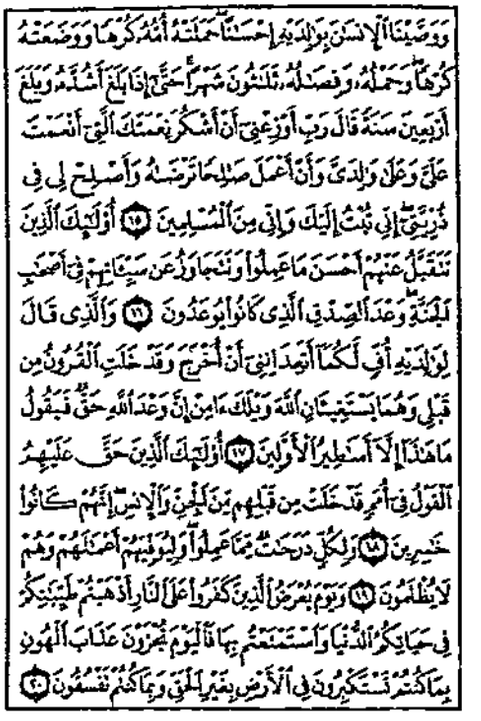
وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

١٥- إنها وصية للنوع الإنساني أن يحسن لوالديه ولا ينسى ما بذلاه من تضحيات، وخصوصاً الأم في زمان الحمل والوضع؛ حيث المعاناة الشديدة، والرضاع ثم الفصال عنه الذي يبلغ جميعه عادة ثلاثين شهراً، وعندما يبلغ الإنسان أربعين سنة يصل إلى أوج نضجه وتكمل طاقاته ويتوجه إلى الله أن يوفقه لشكر النعمة عليه وعلى والديه، وعمل الصالحات، ويدعوه أن يديم نسله في طاعته ـ فالنسل غير الصالح غير مرغوب فيه ـ ويعلن التوبة والاستسلام لربه.

١٦- مثل هذا المؤمن مؤهل للقبول، والغفران والدخول في أصحاب الجنة كما وعدوا وعداً صادقاً من الله.

١٨،١٧- أما من ردَّ على والديه وتأفف منهما ورفض دعوتهما له للإيمان بالآخرة مشككاً فيها بأن القرون السابقة قد فنت ولن تعود، فيعزُّ عليهما ذلك فيستغيثان بالله ويحذرانه من وعيد الله لأنه حق فيردّ عليهما بأن ذلك من أساطير السابقين، فإن مثل هذا سوف يدخل في سلك المكذبين الذين سبقوا من الجن والإنس وحق عليهم القول الإلهي بالخسران والعذاب.

١٩- بعد عرض هذين المثالين للمؤمنين الفائزين والمكذبين الخاسرين يقرر القرآن أن المعايير واضحة منضبطة عادلة فلكل جزاؤه ودرجته نتيجة عمله وسوف يوفى حسابه بلا ظلم.

٢٠- موقف رهيب يواجه الكفار في القيامة إذ يعرضون على النار ويقال لهم بأنهم لم يدخروا من الطيبات لذواتهم في الآخرة شيئاً بل استنفذوها واستمتعوا بها جميعاً في القسم القصير من الطريق ومالهم هنا إلا العذاب المذل في قبال استكبارهم في الدنيا بغير الحق، وفسقهم وخروجهم عن الطبيعة الإنسانية.

الاحقاف ٥٠٥

* وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ
مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا
بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

٢١- وهنا يذكّر القرآن بنبي الله هود الذي أرسل إلى عاد - وهو أخوهم ومنهم - وكانت عاد تسكن الأحقاف وهي مرتفعات رملية في جنوب الجزيرة العربية قيل أن بعض آثارها باقية. وقد صدع بنفس الدعوة التي صدع بها الأنبياء قبله وبعده، وطلب منهم عبادة الله الواحد الأحد وحذرهم من عذاب الآخرة.

٢٢- فردّوا عليه مثل كل الأمم المكذبة متهمين إياه بالعمل على إبعادهم عن آلهتهم إفكاً وافتراءً متحدّين كل ما وعدهم به من عذاب نتيجة التكذيب.

٢٣- فيجيبهم هو بأن أجل العذاب بيد الله، وما عليه إلا الإبلاغ فعليهم أن يتجاوزوا جهلهم ويفكروا في مادعاهم إليه.

٢٤،٢٥- وحين جاءهم العذاب بشكل سحاب بعد جفاف أصابهم استبشروا به خيراً ليمطرهم ويمرعهم، وسرعان ما اكتشفوا أنه عذاب وريح مدمرة بأمر ربها تمحو هؤلاء الظالمين وتطهر الأرض منهم فلا يرى بعدهم إلا مساكنهم الخالية وذلك جزاء المجرمين.

٢٦- لقد مكّنهم الله وأعطاهم القدرة والمال والعلم بأكثر مما مكّن به المشركين في عصر الرسالة ومنحهم كل وسائل المعرفة من السمع والابصار والقلوب فلم يستغلوها كما ينبغي وجحدوا بآيات الله وأحاطت بهم نتائج الجحود والاستهزاء.

٢٨،٢٧- فليتأمل المشركون فيما حواليهم من القرى كالأحقاف، والحجر، وسبأ، ومدين وغيرها وليعتبروا بهلاكها بعد أن منّ الله عليها بالهدى لعلها تعود إلى ربها فكذبت فأصابها العذاب، ولم تنصرها آلهتها المدعاة من دون الله والتي كانت تعبدها لتقربها إليه، إفكا وافتراءً على الحقيقة. وقد يكون التأكيد على قوم عاد بالخصوص في هذه السورة لقرب مكانهم وآثارهم في الجزيرة من المشركين.

---

* - تمّ كتابة تفسير القرآن بيراع أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية آية الله الشيخ محمد علي التسخيري.